Adab Al-Rafidayn

https://ojs.uomosul.edu.iq/index.php/radab

Architectural landmarks, aspects of social life, and their impact on community development through the book "Deaths of Notables" by Ibn Khallikan (d. 681 AH/1282AD)

Mustafa Hashim Abdulaziz
Department of History / College of Arts / University of Mosul/ Mosul-Iraq

Omar Ahmed Saeed
Department of History / College of Arts / University of Mosul / Mosul- Iraq

Article Information

Article History:
Received Nov,15 , 2025
Revised Nov,18 .2025
Accepted Nov,23, 2025
Available Online Feb. 1, 2026

Keywords:
Forts and castles,
Schools,
Mosques,
Professions,
Clothing

Correspondenc:
Mustafa Hashim Abdulaziz
mustafa.h.a@uomosul.edu.iq

Abstract

This research aims to study the diverse impacts of artificial intelligence (AI) on women, examining both the opportunities for empowerment and the potential challenges and risks. AI can be considered a double-edged sword for women; it is a powerful tool for empowerment when used fairly and inclusively, but it can also become a new source of exclusion if gender differences are not considered in its design and implementation. Furthermore, it may pose a security challenge for women. Therefore, efforts must be directed towards achieving digital equity that guarantees women equal opportunities in the future of technology, ensuring their safety and privacy. The research reached several key findings, including:

1- Artificial intelligence is a double-edged sword. While it offers opportunities for improvement, innovation, and education for women, it also presents challenges and risks that must be carefully addressed to ensure the safe, equitable, and effective use of this technology.

2. Artificial intelligence (AI) is a thriving field for innovation and development, Big data, machine learning, and automation have contributed to women's empowerment and advancement. Furthermore, advancements like AI hold boundless potential for enhancing women's opportunities for innovation and creativity across all sectors.

3. AI offers women ample opportunities for remote work, managing small businesses, and self-training through smart platforms. AI algorithms also enable them to overcome some of the constraints imposed by geographical mobility.

4. However, AI presents a number of challenges and risks for women, including its impact on the labor market, employment, security, and privacy all issues that require special attention and consideration.

DOI: ----------, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license ((http://creativecommons.org/licenses/by/4.0).

المعالم العمرانية ومظاهر الحياة الاجتماعية واثرها في تنمية المجتمع من خلال كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان (ت681هـ/1282م)

مصطفى هاشم عبدالعزيز * عمر أحمد سعيد**

المستخلص :

عدت الخطط والمعالم العمرانية في كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان من الركائز الاساسية لنشوء وتطور وديمومة اي حضارة من الحضارات لا سيما الحضارة الاسلامية، فهي البودقة التي تنشأ فيها الحضارة .

ركز ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان على العديد من النظم الحضارية كالادارية والاقتصادية والعلمية والعمرانية والاجتماعية موضوع دراستنا هذه.تناول البحث تمهيد ومبحثين وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع. شمل التمهيد نبذة مختصرة عن ابن خلكان وكتابه وفيات الاعيان. اما المبحث الاول فكان بعنوان: المعالم العمرانية مثل (الحصون والقلاع، القيساريات ،المدارس ،المساجد والجوامع ،الاديرة والكنائس ، الخانقاهات والربط، البيمارستانات ،المقابر والقباب والمشاهد) .

وتضمن المبحث الثاني: مظاهر الحياة الاجتماعية(المهن، الغناء،الملابس، العجائب، الطعام). وكانت الخاتمة ابرز النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: الحصون والقلاع , المدارس ,المساجد والجوامع , المهن , الملابس

المقدمة:

تعد دراسة المعالم العمرانية ومظاهر الحياة الاجتماعية من أهم المحاور التي تسلّط الضوء على بنية المجتمع الإسلامي في عصوره المختلفة؛ وإذ تسهم في الكشف عن ملامح التطور الحضاري، والتفاعل الثقافي، وأوجه التنظيم الاجتماعي التي شكلت هوية المدن الإسلامية, وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يربط بين البعد العمراني والاجتماعي في إطار تاريخي موثق من خلال مصدر موسوعي يعد من أوسع كتب التراجم انتشارًا، وهو كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، الذي يُقدم مادة غنية تظهر العلاقات بين البناء المادي والعمران البشري في المجتمع الإسلامي الوسيط.

أما طبيعة الدراسة فهي تحليلية وصفية تقوم على استقراء النصوص التاريخية في كتاب ابن خلكان، واكتشاف الجوانب العمرانية والاجتماعية، وتحليل آثارها في تنمية المجتمع، مع بيان أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية التي عكستها تراجم الأعلام, وتتمثل أهداف الدراسة في إبراز دور العمران في دعم الاستقرار الاجتماعي، وتوضيح مدى ارتباط النشاط المعماري بالحياة الثقافية والدينية، ورصد القيم الحضارية التي عبر عنها المجتمع الإسلامي في القرن السابع الهجري.

تأتي أسباب اختيار العنوان من قناعة الباحث بأن كتاب وفيات الأعيان ليس مجرد سجل لتراجم الأعلام، بل هو مرآة صادقة تكشف واقع الحياة الاجتماعية والعمرانية لعصره, ومن هنا، فإن تحليل مادته يسهم في إعادة قراءة التاريخ من منظور حضاري شامل يجمع بين الإنسان والمكان والفكر والممارسة.

تضمن البحث مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

التمهيد : سيرة ابن خلكان:

1- اسمه ونسبه:

شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الأربلي الشافعي [1].

مولده ونشأته وشيوخه ورحلته في طلب العلم:

ولد بمدينة أربل سنة (608هـ/ 1211م) [1] تفقه على والده في مدينة أربل [2] وسمع بمدينة أربل ((صحيح البخاري)) من الشيخ أبي محمد بن هبة الله بن مكرم الصوفي وأجاز له المؤيد الطوسي [3] كما أجاز له عبدالمعز الهروي [4] وزينب الشعرية [5] ثم رحل إلى مدينة

* قسم التاريخ/ كلية الآداب / جامعة الموصل / الموصل - العراق.

** قسم التاريخ/ كلية الآداب / جامعة الموصل/ الموصل - العراق.

(1) الذهبي، محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، ط1، دار الكتاب العربي، (بيروت، 2000)، حوادث ووفيات (681 – 690)، ص 65 – 66؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، دار ابن كثير، (بيروت، 1967)، ج13، ص 301.

الموصل وتفقه بها على الشيخ كمال الدين بن يونس [6] ثم رحل بعد ذلك إلى مدينة حلب وأخذ فيها الفقه عن القاضي بهاء الدين بن شداد[7] كما لقي فيها كبار العلماء [8] كالشيخ أبو البقاء يعيش بن علي النحوي الذي أخذ عنه النحو ثم قدم إلى دمشق واشتغل على ابن الصلاح [9].

2- المناصب التي تولاها ابن خلكان:

بعد إنهاء رحلته العلمية في دمشق انتقل ابن خلكان إلى مصر وأقام بها مدة ناب في القضاء فيها عن قاضي القضاة بدر الدين السنجاري[10] ثم ولي قضاء المحلة [11] ثم قدم بلاد الشام وتولى القضاء فيها في ذي الحجة سنة (659ه/ 1260م) منفرداً بالأمر ثم أقيم معه القضاة الثلاثة في سنة (664ه/ 1265م) ثم عزل عن القضاء سنة (669ه/ 1270م) بالقاضي عز الدين ابن الصايغ ثم عزل ابن الصايغ بعد سبع سنين وعاد ابن خلكان ليحل محله لكنه عزل مرة أخرى في أول سنة (680هـ/ 1281م) [12].

كما تولى ابن خلكان وظيفة التدريس في المدرستين الأمينية [13] والنجيبية [14] ثم اقتصر على التدريس في المدرسة الأمينية إلى أن توفى[15].

3- أبرز الأحداث السياسية في عصره:

من أبرز الأحداث السياسية في عصره هو انتصار المسلمين في معركة عين جالوت [16] عام (658هـ/ 1260م) على المغول هزموا شر هزيمة، ثم تولى الحكم في بلاد الشام ومصر السلطان الظاهر بيبرس البندقداري [17] بعد قتله لبطل عين جالوت السلطان سيف الدين قطز[18] سنة (658هـ/ 1260م) وهو في طريق عودته إلى مصر منتصراً في معركة عين جالوت [19] فضلاً عن إحياء الخلافة العباسية في مصر على يد السلطان الظاهر بيبرس وذلك في سنة (659هـ/ 1261م) بعد أن كان المغول قد قضوا عليها في بغداد سنة (656هـ/ 1258م) [20].

4- وفاته:

توفي ابن خلكان يوم السبت السادس والعشرون من رجب سنة (681هـ/ 1282م) ودفن من الغد بسفح جبل قاسيون وله من العمر ثلاث وسبعين سنة [21].

المبحث الأول: المعالم العمرانية

---

(1) الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، ج3، ص 347؛ ابن العماد، عبدالحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدسي، (القاهرة، 1351ه)، ج5، ص 371.

(2) السبكي، عبدالوهاب بن علي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، (د.م، د.ت)، ج8، ص 33.

(3) ابن العماد: شذرات، ج5، ص 371.

(4) أبو المعز الهروي: أبو روح عبدالمعز بن محمد بن ابي الفضل الساعدي الهروي الحافظ, مسند خرسان, ولد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وسمع الكثير, وكان من المشايخ المسندين له مشيخة وقتل بهراة سنة ثمان عشرة وستمائة: الذهبي: سير اعلام النبلاء, تحقيق: شعيب الارناؤوط, مؤسسة الرسالة, ط9(د.م,د.ت),ص620

(5) زينب الشعرية: زينب بنت احمد بن عبدالرحيم الشعرية الدمشقية, ام الحسن, المحدثة الشيخة الصالحة سمعت الكثير واجزت لجماعة منهم ابن خلكان والضياء المقدسي والبرزالي وغيرهم. الذهبي: سير اعلام النبلاء, ج23, ص342.

(6) كمال الدين بن يونس: علم من إعلام أهل العراق مشهور بالحكمة والعلوم الرياضية تخرج عليه جماعة من الأفاضل. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء, تحقيق: نزار رضا, دار الحياة (بيروت, 1965م), ص525

(7) بهاء الدين بن شداد: يوسف بن رافع الأسدي الموصلي الشافعي, قاضي حلب, كان من كبار العلماء, حسن السيرة جميل المحاضرة وكان اديباً مؤرخاً ذا خط جميل. الصفدي: الوافي بالوفيات, تحقيق: هلموت ريتر, دار النشر فرانز شتاينر, (فيسادن, 1974م), ج19, ص160.

(8) الذهبي: تاريخ الإسلام، ص 66؛ العبر: ج3، ص 374؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج5، ص 371.

(9) السبكي: طبقات الشافعية، ج8، ص 33.

(10) بدر الدين السنجاري: قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم السنجاري, الفقيه الشافعي, العالم الورع, تولى قضاء الشافعية بمصر, وكان من أعيان العلماء في وقته. الذهبي: سير أعلام النبلاء, ج23, ص345-346.

(11) السبكي، طبقات الشافعية، ج8، ص 33.

(12) الذهبي: تاريخ الإسلام، ص 66؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج5، ص 371.

(13) المدرسة الامينية: مدرسة شافعية قديمة بدمشق, موضعها قبليّ باب الزيادة من الجامع الأموي شرقي المجاهدية وبجوار قيسارية القواسين في دمشق وقد قيل انها اول مدرسة بنيت للشافعية في دمشق تنسب إلى امين الدولة. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس, (د.ت, د.م), ص132.

(14) المدرسة النجيبية: هي مدرسة شافعية في مدينة بغداد, انشأت في العصر العباسي وتنسب إلى الشيخ أبي النجيب السهرودي. النعيمي, الدارس في تاريخ المدارس, ص358.

(15) الذهبي: تاريخ الإسلام، ص 67؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص 301.

(16) معركة عين جالوت: هي معركة حاسمة وقعت في 25 رمضان سنة 658ه/3 سبتمر 1260 ميلادي بين المماليك المسلمين بقيادة السلطان سيف الدين قطز والظاهر بيبرس, وبين المغول التتر بقيادة كتبغا نوين, وذلك في سهل عين جالود بفلسطين قرب بيسان شمالي الاردن. المقريزي, تقي الدين أبو العباس: السلوك لمعرفة دول الملوك, (د.م, د.ت), ج1, ص459-462.

(17) الظاهر بيبرس: كان سلطان الملك الظاهر بيبربس من ابطال الإسلام وملوكهم الكبار له اليد البيضاء في الجهاد والنكاية في اعداء الله. الذهبي: سير أعلام النبلاء, ج 23, ص268-270

(18) سيف الدين قطز: سلطان مصر بطل عين جالود كان شجاعاً حاسماً حسن الإسلام, عظيم النكاية في العدو, الذهبي, سير أعلام النبلاء, ج23, ص270.

(19) الذهبي: العبر، ج3، ص 288.

(20) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص 231.

(21) السبكي: طبقات الشافعية، ج8، ص 33؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص 301.

عدت الخطوط والمعالم العمرانية من المرتكزات الرئيسة لنشوء وتطور واستمرار أية حضارة من الحضارات، فهي البودقة التي تنشأ فيها الحضارة حيث يشير ابن خلدون إلى أهمية العمران في تطور الأمم والشعوب واستمرارها الحضاري قائلاً:(أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال... وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصناع وسائر ما يحدث في ذلك العمران) [1].

1- الحصون والقلاع:

الحصن (هو البناء الذي لا يوصل إلى داخله إلا بالقتال، وكان على نوعين، أحدهما عبارة عن بناء منفصل قائم بذاته كان يبنى على الثغور الساحلية وطرق القوافل التجارية والمواقع الاستراتيجية الحساسة المشرفة على حدود الدولة، والآخر عبارة عن بناء متصل على هيئة برج في سور مدينة أو قلعة أو خان أو نحو ذلك) [2].

وأما القلعة فيقصد بها (طراز من الحصون شاع استخدامه في العصور الوسطى لحماية المدن من العدوان الخارجي والداخلي وكان يقوم حينذاك بوظيفتي السكن والحصن معاً، لأن ظروف الحياة في تلك العصور التي كثرت فيها الفتن والاضطرابات والحروب كانت قد دلت إليه)، وكان يراعى في اختبار موقع القلعة أن تتميز بالعلو والارتفاع ليشرف على الأرض المحيطة بها [3].

أشار ابن خلكان إلى الحصون في كيفا [4]: (إن أسامة بن منقذ كان قد سكن دمشق ثم رحل إلى مصر فبقى بها مؤمراً مشاراً إليه بالتعظيم إلى أيام الصالح بن زربكى [5] ، ثم عاد إلى الشام وسكن دمشق مرة ثانية، ثم رماه الزمن إلى حصن كيفا، فأقام به حتى ملك السلطان صلاح الدين – رحمه الله تعالى - دمشق) [6].

وقدم ابن خلكان معلومات عن بعض الحصون[7] الأخرى فيشير إلى: (... أن أبا شجاع [8].

ويذكر ابن خلكان أبرز القلاع في كلامه عن التراجم الأشخاص فيذكر: (أن الأمير جعبر بن سابق القشيري [9] الملقب سابق الدين الذي تنسب إليه قلعة جعبر، وكان له ولدان يقطعان الطريق ويخيفان السبيل ولم يزل على ذلك والقلعة بيده حتى انتزعها منه السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي) [10].

وأشار ابن خلكان إلى قلعة البيرة [11] حيث يذكر: (... أن قلعة البيرة التي كان صاحبها أبو سليمان داؤد الملقب الملك الزاهر ابن السلطان صلاح الدين [12] (ت 632هـ/ 1234م)) [13].

ويتحدث ابن خلكان عن القلاع فيذكر: اسم خفتيد [14] .

2- الأسوار:

السور هو (جدار عالي ضخم يحيط بالبناء لحمايته) وقد حقق العصر العباسي في بغداد تقدماً كبيراً في هذا الصدد أكثر مما حققته الدولة الأموية في دمشق، ولعل من الأمثلة الدالة على ذلك هي أسوار مدينتي بغداد والرقة [15].

ويشير ابن خلكان إلى أبرز الأسوار فيتحدث: (... إن سرفتكين الذي كان مملوك زين الدين علي فأعتقه حيث أقام سرفتكين المذكور ببناء سور حول مدينة فيد التي في طرق مكة من جهة بغداد) [16].

---

(1) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي: المقدمة، دار العودة، (بيروت، 1981)، ص 29.
(2) فكري، أحمد: مساجد القاهرة، ومدارسها (العصر الفاطمي)، دار المعارف، (د.م، 1965)، ص 24 – 26؛ غالب، عبدالرحيم: موسوعة العمارة الإسلامية، جروب برص، (بيروت، 1988)، ص 133؛ سامح، كمال الدين: العمارة الإسلامية في مصر وتطورها في العصر الحديث، مطبعة جامعة القاهرة، (د.م، 1970)، ص 60.
(3) غالب: موسوعة، ص 319؛ مجمع اللغة العربية: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية، المطابع الأميرية، (د.م، 1962، 1977)، ج13، ص 113.
(4) حصن كيفا: وهي بلدة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، 1957)، ج2، ص 265.
(5)الصالح بن زربكى: وزير فاطمي بارز, شاعر وأديب, جمع بين السياسة والثقافة في مصر الفاطمية. ابن خلكان: وفيات, ج3, ص311.
(6) أبو العباس شمس الدين احمد ،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تقديم : محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي،(بيروت : 1979)،ج1، ص 106.
(7) حصن ذي الكلاع: من نواحي الثغور الرومية قرب المصيصة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 265.
(8)أن أبا شجاع : فاتك الكبير المعروف بالمجنون، كان روميأ، أخذ صغيراً هو وأخ له وأخت لهما من بلد الروم من موضع قرب حصن يعرف بذي الكلاع . الحموي: معجم البلدان, ج2, ص265.
(9) جعبر بن سابق القشيري: هو من أمراء العرب من قبيلة بنو قشير الكعبية انشأ قلعة باسم قلعة جعبر- الدوسرية- على نهر الفرات وعد ما جاء السلطان السلجوقي ملكشاه بن الب ارسلان إلى حلب قتل جعبر. الذهبي, سير أعلام النبلاء, ج25, ص552.
(10) وفيات: ج1، ص 187.
(11) البيرة: حصن على الفرات بين الرقة والرها من الثغور الشامية ذات موقع حصين كثيرة الماء ذات نخل وبساتين. الحموي: معجم البلدان, ج1, ص444-445.
(12) الملك الزاهر: هو الملك الزاهر أبو سليمان داؤد بن صلاح الدين يوسف بن أيوب, ولي حلب بعد أبيه وكان من خيار الملوك وأجودهم سياسة حسن السيرة محباً للعلماء. ابن خلكان: وفيات, ج1,ص316.
(13) وفيات: ج1، ص 316.
(14) أنه كان قلعة حصينة في مدينة اربل يطلق عليها. وفيات: ج2، ص 241.
(15) الألفي: أبو صالح: الفن الإسلامي (أصوله، فلسفته، مدارسه)، ط3، دار المعارف، (د.م، د.ت)، ص 175 – 176.
(16) وفيات: ج1، ص 307.

ويقدم ابن خلكان معلومات لنا عن سور آخر فيذكر: (أن أبو محمد عبيد الله الملقب بالمهدي، قام ببناء سور مدينة تونس وأحكم عمارتها وجدد فيها مواضع فنسب المهدية إليه) [1].

ت- القيساريات:

القيسارية هي (مجمعات تجارية ملحقة بالأسواق تخضع لإدارة شخص يطلق عليه اسم عريف وظيفته تأجير حوانيتها للتجار ويمنع دخول أصحاب الحوانيت إليها بعد إغلاقها، وكان لكل قيسارية حارس يعمل على إغلاقها ليلاً وفتح أبوابها صباحاً) [2].

يشير ابن خلكان إلى أبرز القيساريات فيذكر: (... إن الأمير أبو المنصور جهاركس بن عبدالله الناصري الصلاحي الملقب فخر الدين، كان من أكابر أمراء الدولة الصلاحية، حيث كان الأمير المذكور قد بنى في القاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة إليه، حيث كان التجار الذين يزورنها يقولون: لم نر في شيء من البلاد مثلها في حسنها وعظمها وأحكام بنائها، وتوفي الأمير سنة 608هـ/ 1221م بدمشق) [3].

3- المدارس:

المدارس هي: (عبارة عن مباني يأوي إليها طلاب العلم ويتولى تدريسهم وتثقيفهم فئة صالحة من المدرسين والعلماء ويوسع عليهم وعلى طلابهم في الرزق ويختارون بحسب شروط الواقف) [4].

ومن المدارس البارزة التي ذكرها ابن خلكان هي المدرسة النظامية في بغداد إذ ذكر: (... أن الوزير نظام الملك قوام الدين الطوسي [5] ، حيث أنه أول من انشأ المدارس فاقتدى به الناس وشرع في عمارة مدرسته ببغداد سنة (457ه/ 1064م) واستغرق في بنائها سنتين (459هـ/ 1066م) وعرفت بالمدرسة النظامية) [6].

وأشار ابن خلكان إلى بعض المدارس الأخرى فيذكر: (أن الأمير شاهنشاه بن نجم الدين أيوب، حيث كان لشاهنشاه بنت تسمى عذرها وهي التي بنت المدرسة العذراوية بمدينة دمشق واليها تنسب) [7].

كما قدم لنا ابن خلكان معلومات عن مدرسة الشافعية في الموصل فيتحدث قائلاً: (إن العادل نور الدين لما ملك الموصل بعد وفاة أبيه، وكان ملكاً شهماً، حيث أنه انتقل إلى المذهب الشافعي (رضي الله عنه) ولم يكن في بيته شافعي سواه، وبنى مدرسة للشافعية بالموصل، قل أن يوجد مدرسة في حسنها) [8].

وأشار كذلك ابن خلكان إلى بناء مدارس أخرى فيذكر: (... إن أبا سعيد كوكبوري [9] الملقب الملك الأعظم مظفر الدين صاحب أربل، أنه بنى مدرسة رتب فيها الفريقين من الشافعية والحنفية، وكان كل وقت يأتيها بنفسه، ويعمل السماط [10] بها وبيت فيها ويعمل للسماع) [11].

وذكر ابن خلكان: (أن الملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين [12] صاحب حلب قد بنى مدرسة للشيخ على الهروي السائح بظاهر مدينة حلب، وفي ناحية منها قبة هو مدفون بها) [13].

4- المساجد والجوامع:

عد المسجد من أهم المنشآت العامة في المدينة الإسلامية لدوره الواضح في حياة مجتمعه، فضلاً عن وظيفته الدينية والدور الاجتماعي والسياسي [14]، أما المسجد الجامع، فهو الذي تقام فيه الصلوات الخمس اليومية، فضلاً عن صلاة الجمعة والعيدين، ويعد المسجد الجامع من أهم المؤسسات الدينية التعليمية، وتبدأ هذه الأهمية منذ هجرة الرسول (ﷺ) إلى المدينة المنورة وقيامه ببناء المسجد الجامع فيها [15].

---

(1) وفيات، ج2، ص 57.
(2) المقريزي، تقي الدين أحمد: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، (القاهرة، 1973)، ج23، ق2، ص 458 – 460.
(3) وفيات، ج1، ص 195.
(4) بدوي، أحمد أحمد: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة، د.ت)، ص 30.
(5) نظام الملك: هو نظام الملك نظام الدين الطوسي (408-485ه) هو وزير سلجوقي عظيم أسس المدارس النظامية وارسى نهضة علمية وإدارية كبرى في الدولة السلجوقية. الذهبي: سير أعلام النبلاء, ج19, ص437-441.
(6) وفيات، ج1، ص 255.
(7) وفيات، ج1، ص 406.
(8) وفيات، ج1، ص 105.
(9) أبو سعيد كوكبري: هو أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين (549-630ه) أمير أربل الأيوبي, اشتهر بالعدل والكرم وأول من احتفل بالمولد النبوي. ابن خلكان: وفيات, ج4, ص117-119.
(10) السماط: مصطلح تاريخي يطلق على المائدة أو الصف الطويل للطعام في قصور الخلافة الإسلامية, وكان رمزاً للكرم والهيبة السلطانية يقام في المناسبات الدينة الكبرى. الدوري, عبدالعزيز: مقدمة في تاريخ الدولة الإسلامية, مركز دراسات الوحدة العربية, (بيروت, 1993م), ص215.
(11) وفيات، ج2، ص 291.
(12) الملك الظاهر: هو الملك الظاهر غياث الدين غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف (568-613ه) حاكم حلب استقى رسالة سياسية مستقلة واهتم بالبنى العمرانية والعلماء. الذهبي: سير أعلام النبلاء, ج21, ص297.
(13) وفيات، ج2، ص 165.
(14) عثمان، محمد عبدالستار: المدينة الإسلامية، مجلة عالم المعرفة، (الكويت، 1988)، عدد 128، ص 234.
(15) ابن الإخوة، محمد بن محمد: معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق: محمد محمود شعبان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1976)، ص 17 – 171.

ومن جانب آخر يشير ابن خلكان إلى أبرز الجوامع عند حديثه عن تراجم الأشخاص، ومن هذه الجوامع جامع ابن طولون إذ تحدث: (إن القائد العسكري جوهر الصقلي [1] صلى يوم الجمعة مع عسكر كثير سنة (359هـ/ 969م) في جامع ابن طولون [2] وخطب عبدالسميع بن عمر العباسي الخطيب، ثم شرع القائد جوهر في عمارة الجامع المذكور في القاهرة وفرغ من بنائه في شهر رمضان سنة (361ه/ 971م) وجمع فيه الجمعة، وهذا الجامع المعروف بالأزهر بالقرب من باب البرقية بينه وبين باب النصر) [3].

ومن الجوامع الأخرى التي ذكرها ابن خلكان الجامع المجاهدي [4] في الموصل والذي أسندت الخطبة فيه إلى الشيخ عماد الدين بن يونس (ت 608ه/ 1211م) [5] ويذكر كذلك أن الأمير بدر الجمالي بنى جامعاً سنة (479ه/ 1086م) يثغر الإسكندرية والذي يقع في سوق العطارين[6].

5- الأديرة والكنائس:

الدير والكنيسة هو بيت يتعبد فيه الرهبان، ولا يكاد يكون في المصر الأعظم، أنما يكون في الصحاري ورؤوس الجبال، كان في المصر كانت كنيسة أو بيعة، وربما رق بينهما فجعلوا الكنيسة لليهود والبيعة للنصارى (ودير النصارى أصله الدار والجمع أديار، والديراني صاحب الدير) [7].

ومن أبرز الأديرة التي ذكرها ابن خلكان هو دير سمعان [8] حيث قال: (إن الخليفة عمر بن عبدالعزيز (رضي الله عنه) تولى الخلافة سنة (99هـ/ 717م) وتوفي في سنة (101هـ/ 719م) بدير سمعان) [9].

ومن جانب آخر أشار إلى دير قرة ودير الجماجم [10] إذ يذكر: (إن الحجاج بن يوسف الثقفي كان يقول لأبي عمرو عامر بن شراحيل الشعبي، يا شعبي، ما كان عبدالرحمن يزجر رأني نزلت دير قرة ونزل هو دير الجماجم محارباً، وكان أبداً يقول هذا الكلام على سبيل الفأل والزجر) [11].

ويقدم ابن خلكان معلومات عن دير عبدون [12] الذي كان ينسب إلى ابن مخلد بن عبدون، وإنما نسب إليه لأن عبدون المذكور كان كثير التردد إليه، والمقام فيه، واعتنى بعمارته وموقع الدير يقع إلى جانب المطيرة [13] ، والمطيرة، وهناك ديراً آخر يسمى عبدون أيضاً ويقع قرب جزيرة ابن عمر، بينهما نهر دجلة [14].

وتحدث ابن خلكان عن الكنائس حيث قال: (... إن أمير العراق خالد بن عبدالله القسري [15]، أمه نصرانية، حيث كان خالد يتهم في دينه، وبنى لأمه كنيسة تتعبد فيها) [16].

ويذكر ابن خلكان كنائس أخرى فذكر: (إن الخليفة هارون الرشيد ذهب إلى الحج مع وزيره جعفر البرمكي فلما وصلوا إلى الحيرة، ذهب وزيره جعفر إلى كنيسة هناك لأمر ما، فوجد فيها حجراً عليه كتابة لا تفهم) [17].

6- المدن:

المدينة (هي كلمة مشتقة من مدن، ومدن بالمكان: أقام به، ومنه المدينة ويجمع على مدائن ومدن) [18], ومن أبرز المدن التي ذكرها ابن خلكان هي مدينة واسط، ومدينة واسط هي التي بناها الحجاج بن يوسف الثقفي، حيث شرع في بنائها سنة (84ه/ 703م) وأكمل بنائها خلال

(1) هو جوهر الصقلي (ت 381ه/ 992م) قائد فاطمي بارز فتح مصر سنة 385ه وأسس مدينة القاهرة والجامع الأزهر للفاطميين. المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء, تحقيق : جمال الدين السشيال, (القاهرة, 1967) ج1, ص145-170.

(2) جامع ابن طولون: من اقدم الجوامع الباقية في القاهرة بناه احمد بن طولون سنة 263ه/ 876م يتميز بطرازه العباسي الفريد. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار, الهيئة المصرية العامة للكتاب, (القاهرة, 1998), ج2, ص273-275.

(3) وفيات، ج1، ص 195.

(4) الجامع المجاهدي: من ابرز الجوامع الاثرية في الموصل انشأه الوزير مجاهد الدين عام 1180م في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي. العمري, عماد عبدالسلام: العمارة الإسلامية في الموصل في العصر الاتابكي والايوبي, (الموصل, 1982م), ص115-120

(5) وفيات، ج2، ص 352.

(6) ابن خلكان: وفيات، ج1، ص 404.

(7) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 495.

(8) دير سمعان: يقع شمال غرب سوريا قرب جبل سمعان, شيد في القرن الخامس الميلادي تخليداً للقديس سمعان العمودي, ويعد من اقدم مجمعات العمارة المسيحية في المشرق. سركيس يوسف: تاريخ الفن والعمارة في بلاد الشام, دار النهار, (بيروت, 1995م), ص122-126.

(9) وفيات، ج1، ص 443.

(10) دير الجماجم: موقع في بالعراق الأوسط, ارتبط بالمعركة الحاسمة سنة 82ه/701م, بين الحجاج وابن الأشعث, غير موازين السلطة الأموية انذاك. هوونغ: السلالة الأولى في الإسلام: الخلافة الاموية, ط2, (لندن, روتلدج, 2000م). ص90-91.

(11) ابن خلكان: وفيات، ج2، ص 7.

(12) دير عبدون: يقع قرب دمشق كان نقطة روحية وعمرانية هامة في العهد الإسلامي الوسيط ويشار إليه بالنان. ابن الجوزي, عبدالرحمن: المدن والقصور في بلاد الشام, دار الشؤون الثقافية, (بغداد, 1984م), ص129.

(13) لم اعثر على تعريف يشير إليها في المصادر والمراجع الحديثة.

(14) وفيات، ج2، ص 39.

(15) خالد بن عبدالله القسري: كان من كبار ولات الدولة الأموية اصله من بجيلة تولى ولاية العراق في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك فاشتهر بادارته القوية وعمرانه الواسع في الكوفة والبصرة وكان خطيباً بليغاً وسياسياً حازماً. الذهبي: سير أعلام النبلاء, ج5, ص437.

(16) وفيات، ج1، ص 301- 302.

(17) وفيات، ج1، ص 174.

(18) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب، تقديم : عبدالله العلايلي ،دار لسان العرب،(بيروت ،د.ت)، ج3، ص 455.

سنتين (705م) وسميت واسط لأنها بين البصرة والكوفة، فكأنها توسطت بين هاتين المدينتين[1], وكذلك ذكر ابن خلكان مدينة الهاشمية وهي المدينة التي بناها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في ارض من الأنبار، وفي بداية الأمر كان الخليفة يسكنها، ثم انتقل بعدئذ إلى مدينة الأنبار ويذكر أن الخليفة أبا جعفر المنصور توفي بالهاشمية سنة (158هـ/ 775م) [2], ويقدم لنا ابن خلكان معلومات عن مدينة المهدية [3] حيث يذكر: (... أن أبا محمد عبيد الله الملقب بالمهدي، كان داعية أبا عبدالله الشيعي ولما استتب له الأمر قتله وقتل أخاه، وبنى مدينة المهدية بأفريقيا وفرغ من بنائها في شوال من سنة (308هـ/ 920م)) [4].

7- الخوانق والربط:

الخوانق جمع خانقاه وهي كلمة فارسية معناها (بيت) وقيل أصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، والخوانق حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة للهجرة وجعلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى [5].

أما الربط جمع رباط فالرباط والمرابطة، ملازمة ثغر العدو والإقامة على جهاد العدو بالحرب أو بمعنى آخر المواظبة على الطهارة والصلاة وهو دار يسكنها أهل طريق الله [6].

وهي لا تقل أهمية عن المسجد من حيث كونها مكاناً تشع منه الدعوى إلى الإسلام ويمتاز الرباط بطابعه الحربي فضلاً عن وظائفه الدينية من عبادة وتلاوة قرآن والتفقه في الدين[7].

ومن هذه الخوانق والربط والتي أشار إليها ابن خلكان خانقاه، النجعية [8] في بعلبك [9] والتي تنسب إلى نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين، وذلك انه كان قد عمرها في مدة إمامته فيها فنسبت إليه [10].

ويشير ابن خلكان إلى: (إن أبا سعيد كوكبوري الملقب مظفر الدين صاحب أربل قد بنى أربع خانقاهات للزمنى [11] والعميان وملأها من هذين الصنفين، وقرر لهم ما يحتاجون إليه كل يوم، وكان يأتيهم بنفسه كل عصرية اثنين وخميس ويدخل عليهم، كما أنه بنى للصوفية خانقاهين فيهما خلق كثير من المقيمين والواردين، ويجتمع في أيام المواسم فيهما من الخلق ما يعجب للإنسان من كثرتهم) [12].

وفي جانب آخر أشار ابن خلكان إلى الخوانق عندما يترجم للصوفية فيذكر: (إن الخراساين المروروذي البندهي الفقيه الشافعي الصوفي، كان مقيماً بدمشق في الخانقاه السميساطية والناس يأخذون منه) [13].

ومن أبرز الربط التي ذكرها ابن خلكان هو ربط الشهرزوري [14] في الموصل حيث كان يسكن فيه عز الدين الظاهر وهو ابن أخ الفقيه ضياء الدين ابو عمرو عثمان بن عيسى الهذباني [15] ، وكان قدر قرر له صاحب الموصل آنذاك راتباً فلم يزل يسكن هناك إلى أن توفى سنة (619هـ/ 1222م) [16], ويتحدث ابن خلكان عن الربط وذكر: (أن علي بن محمد بن يحيى أبا الحسن الدريني المعروف بثقة الدولة، حيث كان قد بنى رباطاً للصوفية ووقف عليها وقوفاً حسنة) [17].

8- البيمارستانات:

البيمارستان: كلمة فارسية الأصل ومعناها المستشفى وهي مؤلفة من كلمتين (بيمار) بمعنى المريض أو عليل أو مصاب و(ستان) بمعنى مكان أو دار فهي إذن تعني (دار المرضى) [18].

---

(1) وفيات، ج1، ص 217.
(2) وفيات، ج1، ص 330.
(3) المهدية: مدينة تاريخية تقع على الساحل الشرقي من تونس اسسها الخليفة عبيد الله المهدي عام 303ه/910 م لتكون عاصمة للدولة الفاطمية قبل انتقالها إلى مصر. المقريزي: اتعاظ الحنفة, ج1, ص157-160.
(4) وفيات، ج2، ص 57.
(5) الجوهري، اسماعيل بن حماة: الصحاح – تاج اللغة وصحاح العربية – تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، (بيروت، 1987)، ج4، ص 1472.
(6) ابن منظور: لسان، ج14، ص 364؛ حسن، حسن ابراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، ط1، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1967)، ج4، ص 423.
(7) حسن: تاريخ الإسلام، ج4، ص 438.
(8) خانقاه النجعية: من المنشأة الصوفية التاريخية في القاهرة, انشأها الامير علم الدين سنجر النجعي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي كانت مركزاً للتعليم للمتصوفة ومكاناً لاقامتهم في عهد السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب. المقريزي: المواعظ والاعتبار, ج2, ص345-347.
(9) بعلبك: مدينة تاريخية عريقة تقع في سهل البقاع في لبنان على سفوح جبال اللبنان الشرقية وتعد من اقدم المدن المأهولة في المشرق تعود جذورها للعصور الكنعانية والرومانية واشتهرت بمعابدها الضخمة. الحموي: معجم البلدان, ج1, ص458.
(10) وفيات، ج1، ص 137.
(11) الزمنى: جمع زمن تعني أصحاب العاهات أو المرضى المزمنين الذين لا يقدرون على الحركة أو الكسب بسبب مرض أو إعاقة دائمية. ابن منظور: لسان العرب, تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد احمد, دار صادر, (بيروت, 1990م), ج13, ص220.
(12) وفيات، ج2، ص 291.
(13) وفيات، ج2، ص 414.
(14) ربط الشهرزوري: وهو رباط ابن صلاح الشهرزوري بمدينة دمشق حيث نسب إليه مقام التدريس والأفتاء. ابن خلكان: وفيات, ج2, ص221.
(15) ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى الهذباني: فقيه شافعي موصلي درس في دمشق والقاهرة وتولى القضاء في مصر وله مؤلفات فقهية. الحموي: معجم الأدباء, دار الغرب الإسلامي, (بيروت, 1993م), ج5, ص115-117.
(16) وفيات، ج1، ص 307.
(17) وفيات، ج1، ص 417.
(18) عبدالرحمن، حكمت نجيب: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، (الموصل، 1977)، ص 72.

والبيمارستانات هي احدى المنشآت والعمائر التي كان يشيدها الخلفاء والسلاطين والأمراء وأهل الخير على العموم صدقة وحسبة وخدمة للإنسانية، ولم تكون مهمة هذه البيمارستانات قاصرة على مداراة المرضى بل كانت في الوقت نفسه معاهد علمية ومدارس لتعليم الطلب يتخرج منها المتطببون والجراحون كما يتخرجون اليوم في كليات الطب [1].

ويتحدث ابن خلكان عن البيمارستانات فيقول: (أن أبا سعيد كوكبوري الملقب بالملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل انه كان يدخل إلى البيمارستانات ويقف على مريض مريض ويسأله عن مبيته وكيفية حاله وما يشتهيه) [2]، ويشير ابن خلكان أيضاً انه في سنة (572هـ/ 1176م) بنى بيمارستاناً في القاهرة [3].

9- المقابر والقباب والمشاهد:

لا تستثنى مدينة من المدن الإسلامية في مسألة وجود المقابر فيها، واهتمام أهلها بالمقابر والأضرحة حيث كان سكانها ينظرون إليها بعين الاحترام، ويعيرونها اهتماماً خاصة لأنهم ذو إيمان راسخ، ويقدم كتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) عدداً من القبور من خلال الحديث عن تراجم الأشخاص وتحديد أماكن وجودها.

فذكر ابن خلكان المقابر وبعض أهم القباب التي هي بمثابة مزار لأهالي المدن الموجودة تلك القباب فيها ومن أبرز هذه المقابر هي: المقبرة الشونيزية [4]

وكذلك من المقابر المشهورة التي يذكرها ابن خلكان هي مقبرة باب حرب [5] ومن القبب المشهورة التي أشار إليها ابن خلكان هي القبة المقابلة لمقصورة جامع السلطان وهي باقية إلى الآن ببغداد، وقد دفنت فيها بوران بنت الحسن بن السهل، زوجة الخليفة المأمون العباسي [6].

وتحدث ابن خلكان في ترجمة الشاعر المشهور أبي تمام حبيب بن أوس (ت 231هـ/ 845م) حيث كان قبره في مدينة الموصل خارج باب الميدان حيث بنى عليه أبو نهشل بن حميد الطوسي القبة [7].

المبحث الثاني: مظاهر الحياة الاجتماعية

لقد اتفق علماء الاجتماع على أن المقصود بالحياة الاجتماعية جميع نواحي النشاط الإنساني في ميادين العمل والدين، والتعليم والنشاط الاقتصادي واللهو واللعب والأعياد والأفراح والمأتم والإخوان والأسرة وكيانها والأمراض الاجتماعية.

فلذا يتعذر على الباحث أن يلم بجميع اطراف الحياة الاجتماعية في كتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلكان وخاصة اذا ما علمنا بأن الكتاب الآنف الذكر هو كتاب تراجم رجال وليس خاص بالتاريخ العام ولهذا نجد بأن المعلومات الخاصة متناثرة بين طيات اسطر الكتاب:

1- المهن:

المهنة لغة مشتقة من: المهنة والمهنة، وهذه الكلمة دلالة على الحذق بالخدمة والعمل ونحوه والماهن: العبد والخادم، والأنثى ماهنة , وفي الحديث: (ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعته سوى ثوبي مهنته) أبي بذلته وخدمته [8].

والمهن هي ما كان نوع الحدادة والتجارة والخفاقة مما يستعان على تعاطيه وممارسته بالآلات والأدوات ويكون تلقيه عن دراسة عملية [9].

يقدم ابن خلكان معلومات عن المهن فيذكر مهنة الصرافة [10] وقد استحدثت هذه المهنة نتيجة نشاط الحركة التجارية مما أدى إلى تدفق الأموال على التجار وأصحاب رؤوس الأموال من الشرق والغرب، وظهرت الحاجة إلى إيجاد وسائل نقل هذه الأموال من بلد إلى آخر، وإيجاد مكان لحفظها وتداولها وصرفها وقت الحاجة مما أدى إلى ظهور النظام المصرفي، الذي بدأ يشل بيوتات مالية، ثم باتفاق عدد من

(1) عيسى، أحمد: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، المطبعة الهاشمية، (دمشق، 1939)، ص 3.
(2) وفيات، ج2، ص 29.
(3) وفيات، ج2، ص 345.
(4) مقبرة الشونيزية: هي مقبرة بغداد وراء المحلة المعروفة بالتوثة بالقرب من نهر عيسى بن علي الهاشمي، والبعض يقول: إن مقابر قريش كانت قديماً تعرف بمقبرة الشونيزي الصغيرة، والمقبرة التي وراء التوثة تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير، وكان اخوين يقال لكل واحد منهما الشونيزي ودفن كل واحد منهما في إحدى هاتين المقبرتين ونسبت المقبرة إليه. وفيات، ج1، ص 361.
(5)مقبرة باب حرب : تقع في مدينة بغداد، وسميت بمقبرة باب حرب نسبة إلى حرب بن عبدالله، أحد أصحاب أبي جعفر المنصور، وبها قبر أحمد بن حنبل. وفيات، ج1، ص 41.
(6) وفيات، ج1، ص 152.
(7) القبة: بناء معماري نصف كروي شيد منذ العصور الإسلامية الأولى فوق المساجد والأضرحة رمزاً للخلود والسمو الروحي. كريسويل, ك.ا.س: العمارة الإسلامية في مصر من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي, ترجمة: حسن عبد, لجنة التأليف والترجمة النشر, (القاهرة, 1954م)، ص 112.
(8) ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص 544.
(9) الحنفي، الشيخ جلال: الصناعات والحرف البغدادية، دار الجمهورية، (بغداد، 1966)، ص 4.
(10) وفيات، ج1، ص 162.

الصيارفة فيما بينهم لتكوين الشركات المالية، واستطاعوا أن يوسعوا عمليات الصيرفة وقبول الودائع من التجار، ومن أبرز الصيارفة الذين ذكرهم ابن خلكان هو (أبو الحسن ثابت بن قرة بن هارون (ت 287/ 900م)، الذي كان في مبدأ أمره صيرفياً في حران) [1].

وفي جانب آخر يشير ابن خلكان إلى مهنة التطريز فذكر: (... أبو عمر محمد بن عبدالواحد المعروف بالمطرز، ت 344ه/ 955م، حيث كانت مهنة تطريز الثياب ببغداد) [2].

ويقدم لنا ابن خلكان معلومات عن مهنة الصياغة فيذكر: (.... إن أبو علي الحسن بن رشيق المعروف القيرواني [3] ، ت 456ه/ 1063م، وكانت صنعة أبيه في بلده وفي المحمدية – الصياغة – فعلمه أبوه صنعته) [4].

2- الغناء:

الغناء هو ما يترنم ويتغنى به من الشعر ونحوه، والجمع أغاني وأغانٍ [5] وتغنى الجاهليون بالشعر ولذلك قيل انشد فلان الشعر والإنشاد الغناء، والغناء قديماً هو الحداء، وقد اتفق أكثر المؤرخين على أن اصل الغناء هو الحداء، لأنه جزء من صميم حياة العرب وتلائم موسيقاه سير الابل [6].

ومن أبرز المغنيين الذين ذكرهم ابن خلكان فهم:

- عيسى بن عبدالله وكنيته أبو عبدالمنعم، لقبه طويس (ت 92ه/ 710م) بالمدينة المنورة، وكان طويس من المبرزين في الغناء المجيدين فيه، وممن تضرب به الأمثال [7].

- أبو إسحاق إبراهيم بن ماهان المعروف بالنديم الموصلي (ت 188ه/ 803م) ببغداد، ولم يكن في زمانه في الغناء واختراع الألحان [8].

- أبو العباس عبدالله بن طاهر بن الحسين (ت 230ه/ 844م) بنيسابور، وكان عبدالله أديباً ظريفاً جيد الغناء، نسب إليه أصواتاً كثيرة أحسن فيها ونقلها أهل الصنعة عنه [9].

- أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي بن المنصور (ت 224ه/ 839م) بسر من رأى، كانت له اليد الطولى والضرب بالملاهي وحسن المنادمة ولم ير في أولاد الخلفاء قبله افصح لساناً[10].

- عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد المعروف بابن بانة (ت 278هـ/ 891م) بسر من رأى، أحد المغنين المشهورين المجيدين في طبقة المتقدمين منهم، وكان مغنياً مجيداً وشاعراً صالح للشعر، وله كتاب في الأغاني وكانت تياهاً معجباً بنفسه، أخذ الغناء عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي [11].

3- الملابس:

الملابس لغة هي: اللباس ما يلبس، جمع ألبسة ولبس [12] وتعد الملابس من الحاجات الأساسية الضرورية للإنسان لوقايته من تقلبات الأحوال الجوية، واستخدمت أيضاً للزينة والتأثير في الآخرين، وللدلالة على المراكز الاجتماعية للأفراد، اذ تميزت كل فئة بلبسة خاصة بها من حيث موادها وألوانها وطريقة خياطتها ولبسها [13].

وقدم لنا ابن خلكان معلومات عن بعض الملابس فذكر: أن ابن التعاويذي [1] وذكر ابن خلكان في حديثه عن الملابس أيضاً: (... أن رابعة العدوية لما حضرتها الوفاة قالت لعبدة بنت أبي شوار: يا عبدة لا تؤذني بموتي أحداً، وكفنيني في جبتي هذه، وهي جبة من شعر

(1) وفيات، ج1، ص 162.
(2) وفيات، ج2، ص 387.
(3)رشيق المعروف القيرواني: المعروف بالقيرواني ولد في المسيلة بالمغرب الأوسط سنة 390ه/ 1000م شاعر وناقد وأديب نشأ صائغاً ثم مال إلى الشعر واللغة. الذهبي: سير أعلام النبلاء, ج18,ص325.
(4) ابن خلكان، وفيات، ج1، ص 233 – 234.
(5) البستاني، بطرس: قطر المحيط، مكتبة لبنان، (لبنان، د.ت)، ج2، ص 154.
(6) العلاف، عبدالكريم: الطرب عند العرب، ط2، مطبعة اسعد، (بغداد، 1963)، ص 2.
(7) ابن خلكان، وفيات، ج2، ص 241.
(8) ابن خلكان: وفيات، ج1، ص 29؛ العلاف: الطرب، ص 28.
(9) ابن خلكان: وفيات، ج2، ص 41 – 42.
(10) ابن خلكان: وفيات، ج1، ص 27.
(11) ابن خلكان: وفيات، ج2، ص 228.
(12) البستاني: قطر المحيط، ج2، ص 192.
(13) ثريا، سيد زحر، وزينات أحمد طاحون: تاريخ الأزياء، (القاهرة، 1966)، ص 125 – 128.

كانت تقوم فيها اذا هدأت العيون، قالك فكفناها في تلك الجبة وفي خمار صوف كانت تلبسه، ثم رأتها عبدة بعد ذلك في منامها عليها حلة استبرق خضراء وخمار من سندس اخضر لم أر شيئاً قط أحسن منه، فقالت: يا رابعة: ما فعلت بالجبة التي كفناكِ فيها والخمار الصوف؟ فقالت: انه والله نزع عني وأبدلت به ما ترينه علي، فطويت أكفاني، وختم عليها، ورفعت في عليين ليكمل لي بها ثوباً يوم القيامة) [2].

4- العجائب:

اتهم ابن خلكان بذكر بعض العجائب فعلى سبيل المثال عند ذكره الأهرام يذكره (وهي من عجائب الأبنية قال بعض الحكماء: ما على وجه الأرض بنية وأنا ارثي لها من الليل والنهار، إلا الهرمين فأنا أرثي الليل والنهار منهما) [3].

ومن العجائب التي ذكرها ابن خلكان حيث يقول:

(... أن أبو المفيض ثوبان بن إبراهيم المعروف بذي النون [4] (ت 245ه/ 859م) قال: خرجت من مصر إلى بعض القرى، فنمت في الطريق في بعض الصحاري، ففتحت عيني فاذا أنا بقنبرة [5] عمياء سقطت من وكرها على الأرض، فانشقت الأرض فخرجت منها سكرجتان [6] : أحداهما ذهب والأخرى فضة، وفي أحداهما سمسم وفي الأخرى ماء، فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا) [7].

5- الطعام:

الطعام: اسم جامع لكل ما يؤكل، وقد اطعم يطعم طعماً، فهو طاعم، إذا أكل أو ذاق ويقال ابن طاعم عن طعامكم، أي مستغنى عن الطعام [8].

أشار ابن خلكان إلى الأطعمة من خلال ما ذكره من تراجم الأشخاص فيذكر: (أن الخليفة الواثق بالله العباسي، أنه كان يحب الباذنجان مكثر من أكله ومعظم الرمد في العراق من اكل الباذنجان لحر الإقليم والسوداء المولدة من أكله فبعث إليه والده المعتصم وقال له: دع أكل الباذنجان وأحفظ بصرك فمتى رأيت خليفة أعمى؟ فقال للرسول: قل لأمير المؤمنين أين تصرفت بعيني على الباذنجان، ثم رمد صعبة ما تخلص منها إلا وعلى أحدى عينه بياض كاد يسدها)[9].

من جانب آخر يتحدث ابن خلكان عن الأطعمة فيذكر: (الخليفة العباسي هارون الرشيد اختلف هو وأم زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور العباسي في اللوزينج والفالوذج [*] أيهما أطيب، فمالت زبيدة إلى تفضيل الفالوذج ومال الرشيد إلى تفضيل اللوزينج وتخاطرا، فأحضرا أبو يوسف القاضي: يا يعقوب أحكم فيه، فأحضر له جامين من المذكورين، فطفق يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة، لم يزل يأكل إلى أن نصف الجامين فقال له الرشيد: أيه أبا يوسف، فقال: يا أمير المؤمنين ما رأيت خصمين أجدل منهما، كلما أردت أن اسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجة، وقد حرت بينهما، فضحك الرشيد وأعطاه المائة دينار وانصرف مشكوراً) [10].

ويتحدث ابن خلكان عن الأطعمة فيقول: (ابن سفيان الثوري (ت 611ه/ 1214م) أقام دعوة غذاء، قدم لبناً خاثراً، فما توسط المدعوين قال: قوموا بنا نصلي ركعتين شكراً لله تعالى، فقال أحد الحاضرين، لو قدم إلينا شيئاً من هذا اللوزينج المحدث لقال: قوموا بنا نصلي التراويح)[11].

وذكر ابن خلكان كذلك: (لما قدم سفيان الثوري البصرة والسلطان بطلبه، صار في بعض البساتين فمر به بعض العشارين فقال: من أين أنت يا شيخ؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أخبرني رطب البصرة أحلى أم رطب الكوفة؟ فقال: أما رطب البصرة فلم أذقه، ولكن رطب السابري بالكوفة حلو) [12].

الخاتمة

---

(1)ابن التعاويذي: الشاعر كان صاحب العماد الأصبهاني لما كان في العراق، فلما انتقل العماد إلى الشام واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين كتب إليه ابن التعاويذي رسالة وقصيدة يطلب منه فروه، وقد وصفها بالرسالة وهي: وقد كلف مكارمه وان لم يكن للجود عليه كلفة، واتحفه بما وجهه إليه من أوله وهو لعمر الله تحفة، أهدى فورة دمشقية، سرية نقية، يلين لمسها ويزين لبسها، ودباغتها نظيفة وخياطتها لطيفة، طويلة كطوله. وفيات، ج2، ص 452.

(2) وفيات، ج1، ص 329.

(3) وفيات، ج1، ص 131.

(4)ابو المفيض ثوبان بن إبراهيم المعروف بذي النون: فقيه حسن الزهد من مصر/ ولد باخميم سنة 179ه وتوفي سنة 245ه احد رواد التصوف في القرن الثالث الهجري وروي عنه في رواية الحديث عن مالك ابن انس. الذهبي: سير أعلام النبلاء, ج11, ص84-88.

(5) بقمبرة: تصغير قمبر وهي طائر صغير معروف من فصيلة القبرات يغني في الهواء وتطلق ايضاً على نوع من القنبرة وهي الطيور الصغيرة الجميلة الصوت. ابن منظور: لسان العرب, ج5, ص336.

(6)سكرجتان: تستعمل في العربية القديمة بمعنى الصحن الصغير او الوعاء الذي يقدم فيه الطعام والفاكهة, ابن منظور: لسان العرب, ص348.

(7) وفيات، ج1، ص 163.

(8) ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص 593.

(9) وفيات، ج1، ص 320.

(*) اللوزينج والفالوذج: اللوزينج من الحلواء شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز تقريب لوزينة، أما الفالوذج فهو حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل وهي أطيب الحلاوات عند العرب وفيها لغات: الفالوذج والفالودات وهي معربة عن بالودة، للمزيد: ينظر: السير أدى شير: كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، (بيروت، 1908)، ص 142، 120، 121.

(10) وفيات، ج1، ص 341.

(11) وفيات، ج1، ص 374.

(12) وفيات، ج1، ص 375.

بعد استقراء النصوص وتحليل المعطيات المستقاة من كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان يوضح أن هذا المصنف لا يقتصر على كونه كتاب تراجم وسير، بل هو وثيقة حضارية تجسد صورة متكاملة عن المجتمع الإسلامي في القرن السابع الهجري، بما فيه من مظاهر العمران ونظم الحياة الاجتماعية. فقد أبرز ابن خلكان في تراجم الأعلام ملامح دقيقة للبيئة العمرانية، مثل تخطيط المدن، وتشييد المساجد والمدارس والأسواق، مما يعكس ازدهار البنية التحتية وتكاملها مع البناء الفكري والثقافي للامة.

ومن الجانب الاجتماعي، أظهر الكتاب تنوع الطبقات والفئات، وتجلت فيه قيم التعاون والعلم إلى إشارات دقيقة للعادات والتقاليد التي سادت المجتمعات الإسلامية آنذاك, ويُظهر تحليل النصوص أن العلاقة بين العمران والحياة الاجتماعية كانت علاقة تأثير متبادل؛ إذ أسهم العمران المزدهر في استقرار المجتمع وتقدمه، فيما ساعد التلاحم الاجتماعي على استمرار حركة البناء والتنمية.

وعليه يمكن القول إن ابن خلكان أسهم - من خلال تراجم أعلامه - في توثيق جانب مهم من التاريخ الاجتماعي والعمراني، مقدمًا نموذجًا فريدًا للمؤرخ الذي جمع بين الرؤية النقدية والبعد الإنساني. ومن هنا، فإن دراسة كتابه من منظور حضاري تثري فهمنا لتطور المجتمع الإسلامي الوسيط، وتؤكد أن التنمية الحقيقية تقوم على التكامل بين العمران المادي والارتقاء الإنساني.

References

1. Abd al-Rahman, Hikmat Najib: Studies in the History of Sciences Among the Arabs, Dar al-Kitab Printing and Publishing Foundation (Mosul, 1977.)
2. Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmad, Deaths of the Ayaan and News of the Sons of the Time, Introduction: Muhammad Abd al-Rahman al-Mar'ashli, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi (Beirut: 1979), Vol. 1.
3. Academy of the Arabic Language: Collection of Scientific and Technical Terms, Al-Amiriya Press, (n.d., 1962, 1977), vol. 13, p. 113.
4. Al-Alfi: Abu Salih: Islamic Art (Its Origins, Philosophy, and Schools), 3rd ed., Dar al-Ma'arif (n.d., n.d.).
5. Al-Allaf, Abdul Karim: Music Among the Arabs, 2nd ed., Asad Press (Baghdad, 1963.)
6. Al-Bustani, Butrus: Qatar Al-Muhit, Library of Lebanon, (Lebanon, n.d.), Vol. 2.
7. Al-Dhahabi, Muhammad ibn Ahmad: History of Islam and the Deaths of Famous People and Notable Figures, edited by Omar Abd al-Salam al-Tadmuri, 1st ed., Dar al-Kitab al-Arabi (Beirut, 2000), Incidents and Deaths (681-690.)
8. Al-Dhahabi: Lessons in the History of Those Who Have Passed Away, edited by Abu Hajar Muhammad al-Saeed, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah (Beirut, n.d.), vol. 3.
9. Al-Dhahabi: Siyar A'lam al-Nubala', edited by Shu'ayb al-Arna'ut, Al-Risalah Foundation, 9th edition (n.p., n.d.).
10. Al-Duri, 'Abd al-'Aziz: Muqaddimah fi Tarikh al-Dawlah al-Islamiyyah, Center for Arab Unity Studies (Beirut, 1993).
11. Al-Hanafi, Sheikh Jalal: Baghdadi Industries and Crafts, Dar Al-Jumhuriya, (Baghdad, 1966)
12. Al-Jawhari, Ismail ibn Hamah: Al-Sihah - The Crown of the Language and the Correct Arabic Language - edited by Ahmad Abd al-Ghafur Attar, Dar al-Ilm Lil-Malayin (Beirut, 1987), Vol. 4.
13. Al-Maqrizi, Taqi al-Din Abu al-'Abbas: Al-Suluk li-Ma'rifat Duwal al-Muluk (n.p., n.d.), vol. 1.
14. Al-Maqrizi, Taqi al-Din Ahmad: Al-Suluk li-Ma'rifat Dawul al-Muluk (The Conduct of Knowledge of the Kingdoms of Kings), Edited by Sa'id Abd al-Fattah Ashur, Dar al-Kutub Press (Cairo, 1973), Vol. 23, Part 2.
15. Al-Maqrizi: Al-Mawa'iz wa-al-I'tibar bi-Dhikr al-Khitat wa-al-Athar, Egyptian General Book Organization (Cairo, 1998), vol. 2.
16. Al-Maqrizi: Itti'az al-Hunafa bi-Akhbar al-A'immah al-Fatimiyyin al-Khulafa, edited by Jamal al-Din al-Sashyal (Cairo, 1967), vol. 1.
17. Al-Nu'aymi: Al-Daris fi Tarikh al-Madaris (n.d., n.p.).

18. Al-Safadi: Al-Wafi bi'l-Wafayat, edited by Helmut Ritter, Franz Steiner Verlag (Wiesden, 1974), vol. 19.
19. Al-Subki, Abd al-Wahhab ibn Ali: The Great Classes of the Shafi'is, edited by Abd al-Fattah Muhammad al-Helou and Mahmoud Muhammad al-Tanahi, Issa al-Babi al-Halabi and Partners, (n.d., n.d.), vol. 8.
20. Al-Umari, Imad Abd al-Salam: Al-'Imarah al-Islamiyyah fi al-Mawsil fi al-'Asr al-Atabakiyyah wa-al-Ayyubi (Mosul, 1982).
21. Badawi, Ahmad Ahmad: Intellectual Life in the Era of the Crusades in Egypt and the Levant, Nahdet Misr Press (Cairo, n.d.).
22. Dictionary of Writers, Dar al-Gharb al-Islami (Beirut, 1993), vol. 5.
23. Fikri, Ahmad: Mosques and Schools of Cairo (the Fatimid Era), Dar al-Ma'arif, (n.d., 1965)
24. Ghalib, Abd al-Rahim: Encyclopedia of Islamic Architecture, Group Bers, (Beirut, 1988), p. 133.
25. Hisn Dhi al-Kala': One of the Roman border regions near Misis. Yaqut al-Hamawi: Mu'jam al-Buldan (Dictionary of Countries), Vol. 2.
26. Houting: Al-Sulala al-Uwwalah fi al-Islam: al-Khilafah al-'Umawiyyah, 2nd ed. (London: Routledge, 2000).
27. Ibn Abi Usaybi'ah: 'Uyun al-Anba' fi Tabaqat al-Atibba', edited by Nizar Rida, Dar al-Hayat (Beirut, 1965).
28. Ibn al-Akhwa, Muhammad ibn Muhammad: Landmarks in the Rules of Hisbah, edited by Muhammad Mahmoud Sha'ban, Egyptian General Book Authority (Egypt, 1976)
29. Ibn al-Imad, Abd al-Hayy: Nuggets of Gold in the News of Those Who Have Passed Away, Maktabat al-Qudsi (Cairo, 1351 AH), vol. 5.
30. Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman: Cities and Palaces in the Levant, Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya (Baghdad, 1984).
31. Ibn Kathir, Ismail ibn Umar: The Beginning and the End, Dar Ibn Kathir (Beirut, 1967), vol. 13.
32. Ibn Khaldun, Abd al-Rahman ibn Muhammad al-Hadrami: Al-Muqaddimah, Dar al-Awda, (Beirut, 1981.)
33. Ibn Manzur, Jamal al-Din Muhammad ibn Makram: Lisan al-Arab, introduced by Abdullah al-Alayli, Lisan al-Arab Publishing House (Beirut, n.d.).
34. Ibn Manzur: Lisan al-Arab, edited by Abdullah Ali al-Kabir and Muhammad Ahmad, Dar Sader (Beirut, 1990), vol. 13.
35. Ibn Manzur: Lisan, Vol. 14, p. 364; Hasan, Hasan Ibrahim: History of Political, Cultural, and Social Islam, 1st ed., Egyptian Renaissance Library (Cairo, 1967), Vol. 4.
36. Issa, Ahmad: History of Hospitals in Islam, Al-Hashemiyya Press (Damascus, 1939.)
37. Othman, Muhammad Abd al-Sattar: The Islamic City, Alam al-Ma'rifa Magazine (Kuwait, 1988), Issue 128.
38. Sameh, Kamal al-Din: Islamic Architecture in Egypt and its Development in the Modern Era, Cairo University Press, (n.d., 1970)
39. Sarkis Yusuf: Tarikh al-Fann wa-al-'Imarah fi Bilad al-Sham, Dar al-Nahar (Beirut, 1995).
40. Sir Adi Sher: The Book of Arabized Persian Words, Catholic Press of the Jesuit Fathers, (Beirut, 1908.)
41. Tharya, Sayyid Zahar, and Zainat Ahmad Tahoun: History of Costumes (Cairo, 1966.)
42. Yaqut al-Hamawi: Dictionary of Countries, Dar Sadir, (Beirut, 1957), vol. 2.